اسطفان من غوسطا في ٥ شباط سنة ١٧٨٩

٤ قاموس سرياني لابن بهلول. مجلّدٌ ضخم جاء في اوّله بعد البسملة ما يأتي :

نبتدي بعونه وحسن عنايته نكتب ܩܘܡܘܣܐ (اي معجم) سرياني بتفسيره بالكرشوني مجموع من جملة كتب مؤلّفة من معلّمي اللغات السريانية والكلدانية واليونانية والرومية والعبرانية وغيرها

وهذا القاموس خطّ الشماس انطون ابن سحلول من قرية غوسطا في ٢٧ نيسان سنة ١٧٤٠ . عدد صفحاته ٨٧٣ طوله ٣٠ سنتمترا وعرضهُ ٢٠ س وخُطَّ على ورق حجم سميك

٥ كتاب الابركسيس (القراءات) تُتلى في الآحاد والاعياد. خطَّهُ بالكرشوني القس الياس شمعون البرّي من غوسطا في ٥ شباط سنة ١٧٧٠(١ (لها بقية)

الشعر العصري

٢

بقلم فؤاد افرام البستاني استاذ الآداب العربيّة في كلية القديس يوسف (تابع)

فنون الشعر العصري

﴿الشعر القصصي﴾ ان عدم وجود الشعر القصصي بمعنى الملاحم في الشعر الجاهلي يُبرهن عن عدم وجوده بالمعنى ذاتهِ في الشعر العصري. لانَّ الشعر القصصي يزدهرُ في طفولية الشعوب وتزوعهم للحرب والنزال. ولكن لم تكد تُنشر الالياذة العربية سنة ١٩٠٤ حتى ظهر للشعراء ما تحريهِ لغتنا من التَّسع لسرد القصص وما يمكن الشاعرُ ان يرآدهُ من التلاعب بالاوزان. فأثرت هذه الملحمة في الشعر القصصي. ورأينا الكثيرين من الشعراء ينظمون على مثال اناشيدها. وكان اولهم امين ظاهر خيرالله فنشر في نيويورك سنة ١٩٠٦ « كلمة شاعر في وصف خطب نادر » قال في اولها انهُ

١) هذا التأريخ يثبت قولنا عن غلط التاريخ السابق (ص ٦١٨)

جرى فيها على النشيد السادس من الالياذة العربية نظماً واسلوباً ١)

وتطوّر بعد ذلك معنى هذا النوع من الملاحم الى سرد القصة شعرًا فرأينا الآثار العديدة منهُ في شعر العصريين «كالطفل الطاهر» و«الجنين الشهيد» لخليل مطران ؛ و«امّ البنين» و«الجمال والكبرياء» لشبلي ملّاط ، و«عُروة وعفراء» لبشاره الخوري ؛ و«الوفاء» لالياس فياض ، و«امّ اليتيم» للرصافي و«حضن الام» لرشيد سليم الخوري وهي من اجمل القصائد العصرية ابتكارًا ولطفاً ومكافئةً لأصول الفن الروائي وان لم تكن الصناعة الشعرية فيها بستوفاة . ولا يجملُ بنا ان نختم هذا الفصل قبل ان نذكر نصهُ

﴿ الشعر التمثيلي ﴾ رأى شعراؤنا باطلاعهم على آداب الافرنج الدورَ المهمّ الذي يقوم بهِ التمثيل في حياتهم الاجتماعية ، فاندفعوا يعرّبون رواياتهم دون تمحيص ، فكثرت الروايات الاجنبية في بلادنا . وهي فضلًا عن نقص في التعريب والترتيب ، تختلفُ عن عاداتنا وطُرق عيشتنا . ولكنها افادت آدابنا فنًّا جديدًا لم يعرفهُ الجاهليون ، ولا طرقه المسلمون . وكانت اول رواية عربية «البخيل» اخذها مارون النقاش عن موليير ومثّلها في بيروت سنة ١٨١٨ على مسرح اقامهُ في بيتهِ ، فحضرها جمع من قناصل الدول واكابر المدينة وكان لها تأثير لا يُنكر ، ممّا شجّع الكاتب فألّف روايةً عربيةً محضة ، ومثّلها سنة ١٨٥٠ بعنوان «هارون الرشيد» ولكنها لم تنلْ حظّ الاولى

وتوقّف هذا الفن الى ان نهض الشيخ نجيب الحدّاد واديب اسحق ونجيب حبيقه فشغلوا المسارح مدة ، وصعدوا بالتمثيل درجات . ولا يؤخذُ عليهم الّا انهم انصرفوا الى ترجمة المواضيع الاجنبية بدل ان يهتموا بتأليف روايات عربية . فسدّ هذه الثغرة الخوري حنا طنوس ببعض رواياتهِ الجاهلية «كالنعمان» «والمنذران» و«داحس والغبراء» و«كليب والمهلهل» ، ووضع الاب انطون رباط الحجر الاوّل للروايات التاريخيّة العربية في «الرشيد والبرامكة» . وظلّت هذه المواضيع بعيدةً عنا زماناً ومكاناً حتى قام فرحُ انطون ومخائيل نعيمه فاتخذا موضوعيها الاول في الحياة المصرية والثاني في الحياة اللبنانية الحاضرة

١) امين ظاهر خيرالله : كلمة شاعر في وصف خطب نادر — نيويورك ١٩٠٦ ص : ٨

على انَّ اكثر هذه الروايات يتخرجُ فيها الشعر والنثر . وقد ندر وجود الروايات الشعرية الصرفة في آدابنا ، وهي لا تتعدى بضع عشرة . منها «المروءة والوفاء» للشيخ خليل اليازجي و«رواية الوردتين» و«مقتل هيرودس لولديه» و«يوليوس قيصر» للشيخ عبدالله البستاني . ولعلَّ النوع المختلط افضل في لغتنا لاختصاص الشعر بالانشاء اكثر منه بالخبر ، فتُعرض الفصول الاعتيادية نثرًا حتى اذا اشتد التأثير ، وعوج الموقف ، وهاج الشعور ، تدفقت العواطف شعرًا

﴿الامثال﴾ ويلحق بالشعر التمثيلي الامثال الشعرية وهي قصص مختلقة . يجعل فيها الكلام للحيوانات او الجماد او البشر ويقصد فيها المنزى الادبي . وقد اشتهر في هذا الفن ابراهيم العرب ، ومحمد عثمان جلال المصري وخصوصاً احمد شوقي . ولأمثاله وقع غاية في اللطافة والذوق

﴿الشعر الحكمي﴾ سبق الشعر الحكمي القسمَ الثالث من نهضتنا هذه فازدهر مع الشيخ ناصيف اليازجي . اما الآن فقد قلَّ كثيرًا وصُرف اهتمام الشعراء عن نظم الحكم حتى كاد يتلاشى لولا بعض ابيات للزهاوي والرصافي وشوقي وحافظ وغيرهم من المتأثرين بعد ، بشيوع ارسال المثل ، والقاء الحكمة ولو مبتذلة . وكأن الشيخ نجيب الحداد اقتبس من جدّه بعض الحكم فقام ينصح المجروح ويذم القهار قائلًا :

لكل جرحٍ في الناس غارُ وبثُّ مصابِ المرء القارُ

﴿الشعر الفكاهي﴾ وعندنا طريقة اخرى لتهذيب القوم ، والنداء بالاصلاح ألا وهي الفكاهة وكم من ضحكة افادت اكثر من عظة . واذا ذكرنا الشعر الفكاهي نذكر فنًّا من مبتدعات هذا العصر يبالغ شأوه مع رستم فتظهر له فيه الاساليب العديدة والطرف المضحكة يستعملها للانتقاد بلطف فيعمل مبضعهُ في عاداتنا البالية ، وكثيرًا ما يصيب الدمَّلة الفاسدة . . .

﴿الشعر الغنائي﴾ قلنا ان الشعر العربي يكاد ينحصر كله في النوع الغنائي . ولنا الآن في الشعر العصري اصدق شاهد على ذلك . ونحن اذا تركنا الفنَّ الغنائي مع ما يخالطه احياناً من الافكار الفلسفية والاخلاقية يصعب علينا التكلم عن الشعر العصري . . .

زاد تقدُّمَ هذا الفنّ سرعةً في عصرنا قربُنا من مهد شعراء الفرنج الغنائيين كلامرتين وموسيه وغيرهما. فما طالع شعراؤنا مؤلفاتهم حتى احتسوا بعواطفهم تتدفق واحساساتهم تسيل، فافرغوها بقالب رقيق شفّاف. وقد يؤثر في فيضان العواطف مرض الشاعر واوجاعه، وهمومه على اختلاف مصادرها، فيبسط حالات نفسه المنهوكة حتى تكاد روحهُ تُلمَسُ من خلال سطوره. وقد اشتهر بهذا النوع معرّب الالياذة في «الداء والشفاء»، ونسيب عريضه ورشيد ايوب وعبد الحليم المصري واحمد نسيم. وما قولكم في ابيات خليل مطران إبّان مرضه؟:

ثاوٍ الى صخرٍ اصمَّ وليت لي قلباً كهذي الصخرةِ الصماء
يتلاطما موجٌ كموجِ مكارهي وبفتكها كالسُّقْم في اعضائي
والبحرُ خفّاقُ الجوانبِ ضائقٌ كمَدًا كصدري ساعةَ الإمساء
تنشى البريّةَ كُدْرَةٌ وكانّما صدئت الى عينيَّ من احشائي

وفي قول ولي الدين يكن في مرضه؟ ورُوي انه آخر شعر قالهُ:

يا جسدًا قد ذاب حتى أمّحى الّا قليلًا عالقًا بالشعاء
اعانك اللهُ بصبرٍ على ما سُقاني من يسيرِ البقاء

وهذه الرنّة المفجعة نشعر بها ايضاً في شعر خليل مردم بك وهي تبدو خصوصاً في قصيدتيه «الشاعر» و«المحزون». واليكم آخر مقاطع هذه. قال يصوّر منتهى حياة المحزون:

وهزارٍ مع ورقاء عليه هكذا قال للورقاء: ما بالُ اخي البلوى غفى؟
قالت الورقاء: بل يرحمهُ الله فنى

امّا تامر اللّاط فان مرضهُ المزمن، رفعه الى اعلى درجة من الشعر الغنائي الشخصي. واي عاطفة ارق، واشدّ تأثيرًا من تلك التي يبسطها في قصائده الاخيرة من امثال:

دعاني اجرع الغصّا فجئني بالاسى غصّا

واي وصف ادقّ، واوفى تصويرًا لحياته، بل لحياة الشاعر على الاطلاق اذ تكتنفه المصائب وتبرّح به الهموم، من قوله:

اصبحت جُذوةَ نارٍ تتقي لهبًا شُجرينَ رمادي بعد ايامِ

(له تابع)